إسهامات خاتونات عهد الدولة الأيوبية في الاوقاف الخيرية وأثرها في الحياة العامة (567–648ه / 1172–1250م) (دراسة تاريخية تحليلية)

أ.م.د. إيمان جاسم الطيف السامرائي
جامعة سامراء/كلية الآداب

الملخص:

يتناول هذا البحث مساهمة خاتونات عهد الدولة الأيوبية (567– 648ه / 1172–1250م) في نظام الاوقاف الخيرية، مع التركيز على دورها البارز في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع ، ويسلط البحث الضوء على الدوافع والاسباب التي دعت الخاتونات الى الاهتمام بالأوقاف الخيرية، ويعرض نماذج تاريخية للخاتونات في هذا العهد اللواتي قدمنَّ أوقافًا عظيمة، ويستعرض آليات تحويل هذه الأوقاف وإدارتها، ويركز على الأثر المستدام لهذه الأوقاف، ويعرض الاثار العامة لهذه الاوقات على مستوى الفرد والمجتمع في جوانب الحياة المختلفة

الكلمات المفتاحية: الوقف، الاوقاف الخيرية، الخاتونات، الدولة الأيوبية، مدارس، خوانق.

Contributions of the Ladies of the Ayyubid Era to Charitable Endowments and Their Impact on Public Life (567-648 AH / 1172-1250 CE): An Analytical Historical Study.

Dr. Iman Jassim Al-Tayef Al-Samarrai
University of Samarra /College of Arts

Abstract:

This study examines the contributions of the ladies (khātūns) of the Ayyubid era (567-648 AH / 1172-1250 CE) to the system of charitable endowments, with a focus on their prominent role in the social and economic development of society. The research highlights the motives and reasons that drove these ladies to engage in charitable endowments and presents historical examples of khātūns from this era who established significant endowments. It also explores the mechanisms for managing and transforming these endowments and emphasizes their enduring

impact. Furthermore, the study discusses the overall effects of these endowments on individuals and society, covering various aspects of life.

Keywords: Endowment, charitable endowments, khātūns, Ayyubid state, madrasas, khawāniq.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه اجمعين، وبعد:

شهدت الدولة الأيوبية (567- 648هـ / 1172- 1250م) حقبة منمازة من التاريخ الاسلامي، إذ انمازت بنهضة علمية وثقافية واجتماعية ساهمت في تحقيقها فئات المجتمع المختلفة، ومن بينها نساء هذا العهد، ولاسيما الخاتونة، سواء ممن حملن هذا اللقب من نساء البيت الايوبي او من نساء طبقات المجتمع المختلفة ممن تمتعن بمنزلة بارزة فيه، إذ أدت سيدات هذا العهد دورًا محوريًا في ميدان العمل الخيري، وكانت الاوقاف الخيرية هي احدى الوسائل التي اعتمدتها الخاتونات لتحقيق اغراض إنسانية واجتماعية فضلًا عن اهدافهن الدينية، ومن هنا جاء عنوان البحث ((اسهامات خاتونات عهد الدولة الأيوبية في الاوقاف الخيرية واثرها في المجتمع- دراسة تاريخية تحليلية)).

ويهدف هذا البحث الى تقديم رؤية متكاملة عن اسهامات الخاتونات في مجال الاوقاف الخيرية، من خلال دراسة نماذج لهذه الأوقاف وتحليل أثرها على المجتمع الايوبي في الجوانب المختلفة، فضلًا عن دراسة الاسباب التي دعت الخاتونات الى الاهتمام بالأوقاف.

وقسم البحث الى مقدمة وتمهيد ومبحثين، جاء التمهيد للتعريف بالأوقاف وبيان اهم الاسباب والدوافع التي وقفت وراء قيام الخاتونات بالاهتمام بالأوقاف الخيرية، وتناول المبحث الاول اهم الاوقاف التي اوقفتها الخاتونات، وبيّن المبحث الثاني أثر الاوقاف الخيرية على الحياة العامة للمجتمع الأيوبي في جوانب الحياة المختلفة معتمدًا التحليل للروايات التاريخية ومعطيات هذه الأوقاف، فضلًا عن خاتمة توضح النتائج التي توصل اليها البحث.

التمهيد:

1- الوقف في اللغة والاصطلاح:

الوقف في اللغة: وقف الشيء المعنى (الحبس) ويجمع على اوقاف ووقوف (الكتاني، (د.ت)، ج1، ص401)، ويعني ((الموقف))؛ لأن الناس يوقفون أي: يحبسون للحساب (ابن منظور، 1950م، ج11، ص276-277).

اما اصطلاحًا: فقد تعددت تعريفات العلماء للوقف بحسب المذهب الفقهي، إلا أنها اشتركت بمفهوم واحد للوقف وهو حبس الوقف وتسبيل المنفعة، أي: إن الوقف هو الاستفادة من منفعة الوقف مع ضمان حفظ أصل الوقف من الزوال والحرص على الاستمرار بالمنفعة (الخصاف، 1914م، ص 70).

والوقف نوعان: النوع الاول هو الوقف الذري، وهذا النوع من الوقف تكون المنفعة فيه مخصصه لذرية صاحب الوقف لا يجوز التصرف فيه من قبل ورثته (الخصاف، 1914م، ص 70).

اما الوقف الخيري -وهو مجال هذا البحث- فيقصد به: أن تكون المنفعة شاملة لجميع المسلمين، او فئة معينة من ابناء المجتمع، تحدد بموجب وصية الواقف (الخصاف، 1914م، ص10).

2- دوافع الخاتونات من الأوقاف الخيرية:

إن المتتبع لأوقات الخاتونات الخيرية في هذا العهد يجد أن هذه الاعمال لم تكن مجردة من الاهداف والمضامين ذات الغايات الانسانية النبيلة التي كانت وراء هذه الأوقاف، إذ شكلت الأوقاف الخيرية نظامًا انسانيًا ودينيًا عملًا بخط موازٍ على تعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع سواء على مستوى الفرد او الدولة في آنٍ واحدٍ ولعل من أبرز دوافع الخاتونات في اقامة هذه الاوقاف الخيرية هي:

1. الدافع الديني: وكان هذا واضحًا من خلال المؤسسات الدينية التي اسهمت الخاتونات في انشائها ووقفها لخدمة ابناء المجتمع والمتمثلة بدور العبادة مثل: المساجد، والربط [1]

[1] **الربط:** جمع رباط كما عرفه المقريزي إنه ينقطع منه الصوفية للعبادة ودارًا لسكناهم، (المقريزي، 1998م، ج 4، ص 292)

والخوانق [2] فضلًا عن المراكز العلمية الاخرى التي خصصت لدراسة العلوم الشرعية (ابن بدران، 1985م، ص170)

2. دعم الجانب العلمي والتشجيع على الاخذ بأسباب العلم بتوفير فرص تعليم لابناء المجتمع ويأتي ذلك اهتمامًا بالعلم والعلماء (ابن جماعة، 1980م، ص193).
3. دعم الدولة ومساندتها في ظل حروبها ضد الغزوات والاحتلال الصليبي اذ كانت هذه الاوقاف الوقفية وسيلة دعم للمدن المتضررة في الغزوات الصليبية ودعم الجوانب الحضارية للمدن بشكل عام (الاصفهاني، 2004م، ص30).
4. دعم ابناء المجتمع وتحقيق التكافل الاجتماعي الذي شكل جزءًا من ثقافة المتجمع آنذاك (ابن بدران، 1985م، ص170).
5. من جانب اخر نجد أن هذه الاوقاف جاءت لتأكيد استقلال الخاتونات ماديًا واقتصاديًا وقدرتهن على اتخاذ القرارات واثبات وجودهن في حركة الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية (ابن بدران، 1985م، ص171)
6. لا تخلو غايات هذه الاوقات من الدوافع الشخصية للخاتونات الذي تتمثل بترك اثر في المجتمع يعود عليهن بالنفع والثواب بعد مماتهن أو يخلد اسمهن بين فئات المجتمع (الحنبلي، 1989م، ج5، ص18).

المبحث الأول: الأوقاف الخيرية لخاتونات عهد الدولة الأيوبية.

تعدد المجالات التي نالها اهتمام الخاتونات، وكانت الاوقاف الخيرية كإحدى الوسائل المهمة التي أدت دورًا بارزًا في دعم الجوانب الدينية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمع الايوبي آنذاك:

ففي جانب الحياة الدينية كان لدعم الخاتونات لهذا الجانب دور بارز تمثل باعتماد العديد من الوسائل، إلا أن الوقف الخيري كان ابرز تلك الوسائل الداعمة للجانب الديني (الحنبلي، 1989م، ج8، ص337)، ايمانًا منهن في دور هذه المؤسسات في الحفاظ على الموروث الديني والعقائدي للمجتمع، فضلًا عما تقدمه من خدمات علمية وانسانية (النعيمي، 1990م، ج2، ص114)

وتأتي المساجد في مقدمة المؤسسات الدينية التي اسهمت الخاتونات في بنائها ووقفها، فقد اوقفت عصمة الدين خاتون زوج صلاح الدين الايوبي (ت581هـ/1185م)، مسجدًا في

[2] **الخوانق:** جمع خانقاه وهو لفظ غير عربي، لا يختلف في اغراضه عن الرباط وكان يبنى على شكل مسجد او دار للصوفية والزهاد لغرض العبادة وملجأ او مسكنًا لهم، (المقريزي، 1998م، ج2، ص414)

موضع تل الثعالب بدمشق وخصصت له مؤذنًا واوقفت له سقاية (ابن بدران، 1985م، ص170)، فيما اوقفت ارغوان الحافظة خاتون[3] ، مسجدًا في محلة صالحية دمشق(ابن بدران، 1985م، ص332)، واوقفت قماري خاتون[4] مسجدًا عند جبل قاسيون بدمشق (ابن بدران، 1985م، ص347)، واوقفت قرة خاتون زوج احد الجنود الأيوبيين مسجدًا على نهر مدينة بانياس من اعمال مدينة دمشق وألحقت به تربة (ابن شداد، د.ت، ص151).

والى جانب المساجد عنيت الخاتونات ببناء الترب وجعلها وقفًا للمسلمين مثل: التربة الخاتونية التي اوقفتها عصمة الدين زمرد خاتون زوج صلاح الدين الايوبي بمحلة الصالحية بدمشق، وتربة تركان خاتون زوج الملك المظفر صاحب دمشق اوقفتها وخصصت لها مبالغ كبيرة، وجعلت عليها من يدير شؤونها (الذهبي، 1993م، ج4، ص432)، اما والدة الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل ابي بكر بن أيوب فقد أوقفت تربة قبال المدرسة الشامية الجوانية بدمشق إلا أن المصادر لم تذكر تفاصيل وقفها ونفقاتها (ابن بدران، 1985م، ص110)، وتعد التربة التي اوقفتها خديجة حانون ابنة الملك المعظم عيسى بن الملك العادل (ت660هـ – 1262م) بدمشق من اشهر الترب وأعظمها عمرانًا واكثرها من حيث الاموال الموقوفة لها (ابن بدران، 1985م، ص200 ، ص201)، وفي حلب اوقفت والدة الملك المنصور معز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب تربة للمسلمين واوقفت عليها اوقافًا كثيرة (ابن بدران، 1985م، ص 190).

وفي هذا البحث تبين أن هذه الترب لم تقتصر اغراضها على كونها مقابر للمسلمين فقط، بل حرصت الخاتونات على جعلها مراكزًا لتعليم العلوم الشرعية مثل: تحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إذ ألحقن بها اماكن للتعليم، مثل: التربة الكاملية بدمشق التي كانت وقفًا لبنات الملك الكامل محمد بن الملك العادل، ألحقن بها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم (ابن بدران، 1985م، 348)، ويذكر عن ست الشام اخت صلاح الدين الايوبي (616هـ / 1219م) أنها ألحقت بالتربة التي اوقفتها بدمشق مدرسة عرفت بالمدرسة الشامية البرانية وخصصت لتدريس الفقه الاسلامي ولمختلف المذاهب وكانت هذه المدرسة من اعظم مدارس دمشق(النعيمي، 1990م، ج1، ص208).

([3]) ارغوان الحافظية مربية الملك الحافظ صاحب قلعة جعبر، وسمية، بالحافظة تشبه لقيامها تربية الملك الحافظ وهي عتيقة الملك العادل أبي بكر بن ايوب، وكانت امرأة عاقلة مدبرة صالحة (ت 648 هـ/ 1250م)، (النعيمي، 1990م، ج2، ص189)

([4]) لم أجد لها ترجمة وافية إلا أن المصادر تشير إلى أنها إحدى خاتونات العهد الايوبي.

وفي القرنين الخامس والسادس للهجرة شكلت الربط والخوانق جزءًا مهمًا من المؤسسات الدينية، فهي الى جانب كونها دورًا للعبادة اصبحت في هذا العهد تؤدي دورًا اجتماعيًا وعلميًا في آن واحد، إذ أصبحت مراكز لإيواء المحتاجين وطلبة العلم ومراكز للتعلم (القلقشندي، د.ت، ج13، ص417)، ونظرًا لازدياد حاجة المجتمع في هذا العهد لهذا النوع من الاماكن، ولاسيما مع تطور تيار التصوف وزيادة اتباع هذا التيار (حشيش، 2005م، ص165) توجهت الخاتونات إلى بناء العديد من الربط والخوانق ، واوقفن عليها اموالًا ضخمة، مثل: نسب خاتون بنت الملك الجواد مظفر الدين يونس بن محمد (ت641هـ / 1243م) التي بنت رباط بلدق بدمشق وألحقت به مشيخة، ويذكر عنها أنها كانت عالمة حافظة على المذهب الحنبلي، وكانت تزور الفقهاء الحنابلة وتسمع منهم وتولت مشيخة رباط بلدق بنفسها (الذهبي، 1993م، ج53، ص 341).

اما صفية خاتون بنت قاضي القضاة عبد الله بن عطا الحنفي فقد بنت رباطًا بدمشق بالقرب من المدرسة الظاهرية، وتولت مشيخة الرباط بنفسها، سنة (633هـ / 1236م)، (النعيمي، 1990م، ج2، ص151)، وأوقفت زهرة خاتون بنت شاهنشاه بن أيوب رباطًا داخل باب النصر بدمشق، عرف هذا الرباط باسم رباط زهرة خاتون (النعيمي، 1990م، ج1، ص284).

واهتمت الخاتونات ببناء الخوائق وتوفير كل متطلبات ساكني هذه الدور من مسكن ومأكل ومشرب وغيرها من الامور الاخرى، مثل: الخانقاه الذي اوقفته عصمة الدين زمرد خاتون زوج صلاح الدين الايوبي (أبو شامة، 2010م، ج2، ص162) بدمشق وخصصت لهذا الخانقاه أموالًا واوقافًا كثيرة لتوفير احتياجات ساكنيه وتمويل رواتب المشرفين على إدارته وتنظيم اوقافه (النعيمي، 1990م، ج2 ، ص114)، ويذكر أن أم الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب اوقفت خانقاه في حلب سنة (578هـ / 1182م) وبنت الى جانبه تربة (ابن شداد، (د.ت)، ج1، ص30) وانشات ضيفة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب خانقاه في محلة الفرافرة بحلب سنة (624 هـ / 1237م) عرف باسم المحلة، وانماز هذا الخانقاه بجمال وعظمة عمرانه وتخطيطه الهندسي الفريد، وكثرة المنشأة في هذا الخانقاه.

ولم تقتصر بناء الخوانق والربط على سكن الرجال، بل اهمت الخاتونات بتوفير مثل هذه المؤسسات لإيواء النساء ممن انقطعت بهن سبل العيش والارامل، وتوفير فرص عيش كريمة لهن حفاظًا على هذه الفئة من النساء من التشرد والضياع، مثل: الرباط الذي اوقفته زهرة خاتون بنت محمد بن الحسن بن الطاهر المحدثة الحافظة (ت593هـ / 1169م) بدمشق وأوقفته للنساء (النعيمي، 1990م، ج2، ص92)، وفي دمشق ايضًا بنت المحدثة والعالمة بالحديث النبوي

الشريف زهرة خاتون بنت محمد بن احمد بن حاضر (ت 633 هـ / 1123م) رباطًا للنساء عرف باسمها (الذهبي، 1993م، ج2، ص180)، وفي حلب اوقفت صفية خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن أيوب (ت640هـ / 1242م) خانقاه وأوقفته للنساء (ابن شداد، (د.ت)، ج1، ص31)، وبنت فاطمة خاتون بنت الملك الكامل (ت 656هـ/ 1258م) خانقاه للنساء بدمشق واشترطت عليهن أن يقمن الصلوات الخمس، ويلتزم بالدين، ولأجل استمرار وديمومة هذا الخانقاه في اداء خدماته اوقفت له قرية (كفرشينال) في جبل سمعان غرب مدينة حلب (الاصفهاني، 2004م، ص 45)، وفي الخوانق التي خصصت للنساء ايضًا خانقاه بنته بنت صاحب شيزر سابق الدين عثمان قبال دارهم، وخانقاه اشتركت في بنائه ووقفه ابنة ست الشام وأخت صلاح الدين الايوبي في حلب ايضًا وخصص للنساء العابدات والمتعففات (ابن شداد، (د.ت)، ج1، ص31).

اما على صعيد الحياة الاجتماعية، فقد شهد هذا العهد دورًا بارزًا للنساء بشكل عام في تقديم الخدمات الانسانية وتلبية احتياجات المجتمع، وتنوعت تلك الخدمات التي شملت جوانب عديدة من جوانب الحياة الاجتماعية، ومن الخدمات الوقفية التي قدمتها الخاتونات في الرعاية الاجتماعية هو الاهتمام بالجانب الصحي للمجتمع، إذ عنيت الخاتونات بهذا الجانب وخصصن اموالًا كثيرة لتعزيز الرعاية الصحية لأبناء المجتمع وخير مثال على ذلك ما يذكر عن ست الشام اخت صلاح الدين الايوبي، أنها كانت كل عام تضع بدارها مبالغ طائلة واشربة وادوية وعقاقير طبية تفرقها على الناس، واوصت بأن يكون دارها بعد وفاتها مدرسة ملحقة بالمارستان[5] بدمشق لتدريس العلوم الطبية (ابن كثير، 2008م، ج13، ص 100-101).

ولما كانت الحمامات احدى الخدمات التي تتعلق بالجانب الصحي، فقد عنيت الخاتونات ببناء الحمامات وايقافها للمسلمين، مثل: الحمام الذي اوقفته خديجة خاتون بنت الملك المعظم عيسى (660 هـ/1262م) بدمشق جعلته لعامة الناس (ابن بدران، 1985م، 200، ص 201)، والحمام الذي بنته عذراء خاتون بنت الملك شاهنشاه(ت 593هـ، ص 1196م) بدمشق قرب مدرستها المعروفة بالمدرسة العذراوية (الأربلي، 1940م، ص86) وحمام ست الشام خاتون اخت صلاح الدين الايوبي قرب المارستان النوري بدمشق (ابن شداد، (د.ت)، ص292).

أما الخدمات الاجتماعية الاخرى فهي اهتمامهن بتوفير مياه الشرب للناس، وكان بناء السقايات احدى الوسائل التي اعتمدتها الخاتون لتوفير المياه، وخصصت اموالًا طائلة لبناء

([5]) **المارستان:** تعني المستشفى او المستشفيات او دار المرضى وهو لفظ اجنبي معرب، (ابن منظور، 1950م، ج6، ص 4180)

وصيانة هذه السقايات وديمومتها، مثل: السقايا التي اوقفتها ست الشام خاتون اخت صلاح الدين الايوبي (ت 616هـ / 1219م) بموضع تل الثعالب بظاهر دمشق (النعيمي، 1990م، ج2، ص275)، وتأتي أهمية هذه السقايات فضلًا عن دوافعها الدينية عند الخاتونات أنها تعود بخدمة جليلة لأبناء المجتمع بتوفير مياه الشرب إلى جانب توفير فرص عمل لبعض ابناء المجتمع إذ يتطلب اوقاف هذه السقايات تعيين الموظفين للإشراف عليها مقابل اجر معلوم (مهدي، 1987م، ص 32- 133). وضربت عزيزة الدين اخشا خاتون زوج الملك المعظم عيسى(ت654هـ/1256م) مثلًا رائعًا في خدمة المجتمع الايوبي، فنذكر عنها أنها بعد وفاة الملك المعظم عيسى سنة (624هـ ، ص 1227م) ذهبت الى الحج واستقرت بمكة وانفقت اموالها في سبيل الله وتوفير مياه الشرب للناس والحجيج، وبعد أن نفدت أموالها صارت تسقي الماء بنفسها، ثم عادت الى دمشق واستمرت بسقي الماء بنفسها لأبناء دمشق، وعرفها بعضهم واتصلوا بالقائم بأوقافها ليرسل لها جزءًا من الاموال الموقوفة إلا أنها رفضت قائلة: ((الذي خرجت عنه لله لا اعود منه وقالت اعطوا كل ذي حق حقه)) (ابن بدران، 1985م، ص205-206).

وشكلت الخانات احدى المؤسسات الخدمية التي تحولت بعضها الى خدمات خيرية خدمية بفضل اوقاف الخاتونات لهذه المؤسسات، ومما زاد من اهمية الخانات هو اقامة اماكن بداخلها خصصت لإيواء الفقراء والمحتاجين وطلبة العلم وتزويدهم باحتياجاتهم من الاطعمة والأشربة، إذ كانت تصرف اموال لاحتياجاتهم من الأموال الموقوفة لهذه الخانات، وهنا نجد أن وظيفة الخان لم تعد تقتصر على سكنى المسافرين والتجار وممارسة النشاط التجاري، بل تعدى دوره إلى سكنى الفئات التي ذكرناها الامر الذي ادى الى تعدد المرافق والخدمات داخل الخان الواحد (المقريزي، 1998م، ج2، ص86-87).

وفي الخانات التي اوقفتها الخاتونات لأبناء المجتمع خان قماري خاتون (ت 694هـ - 1295م) بنت حسام الدين ضياء أبي الفوارس القيمري وهي من الخاتونات الأيوبيات المعمرات وكان هذا الخان ملحقًا بمسجد القصب بدمشق (النعيمي، 1990م، ج2، ص210)، وأوقفت العالمة امة اللطيفة زوج الملك صاحب حمص (ت: 643هـ/1245م) خان للسبيل بحمص (ابن بدران، 1985م، ص338)، وخان خديجة الخاتون بنت الملك المعظم عيسى الذي اوقفته بدمشق (ابن بدران، 1985م، ص200).

ولم تقتصر الاوقاف الخيرية للخاتونات على اقامة المنشآت الخدمية، بل وظفن اموالهن او جزءًا منها لمساعدة المحتاجين واعانة الفقراء وفداء الاسرى مثل: عصمة الدين زمرد خاتون

زوج صلاح الدين الايوبي (ت 581هـ / 1185م) التي خصصت جزءًا من أوقافها لمساعدة الفقراء ورواتب للعلماء(ابن بدران، 1985م، 169) وأوقفت ست الشام اخت صلاح الدين الايوبي (616هـ- 1219م) جميع املاكها على مدرستها وجواريها وخدمها ووكلائها واسندت بذلك وصيتها الى القاضي لتمنع ابن اخيها الملك المعظم عيسى من الاستيلاء عليها (النويري، 2004م، ج29، ص63)، فيما اوقفت ارغوان الحافظية خاتون (ت 648هـ – 1250م) عتيقة الملك العادل بن أيوب اوقفت دارها بباب النصر بدمشق على خدمها (سبط ابن الجوزي، 1952م، ج22، ص416) ويذكر عن ضيفة خاتون بنت الملك العادل بن ايوب أنها كانت ملكة جليلة نهضت بالملك بحلب بعد زواجها من الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب، كانت تبذل الصدقات، وتؤثر الفقراء والعلماء وتحمل اليهم الأموال، وخصصت جزءًا من اموالها لإعانة هذه الفئات، ويذكر عنها إنها ما قصدها احد إلا ورجع بخير كثير فاحبها اهل حلب؛ لكرمها واحسانها لهم، ولحبهم وتقديرهم لها اغلقت اسواق حلب ابوابها ثلاثة ايام عند وفاتها (الذهبي، 1993م، ج46، ص437) واوقفت بابا خاتون بنت اسد الدين شيركو (ت 7هـ / 11م) املاكها في قرية كلام كامد وقربة يرقوم وقرية بيت الدير من اعمال حلب وغيرها من الاملاك على مدرستها واقاربها ومعتقيها وخدمها وذلك سنة(655هـ / 1257م)، (النعيمي، 1990م، ج1، ص 279)، وخصصت جزءًا من هذه الأموال لمساعدة طلبة العلم (ابن بدران، 1985م، 127).

وحظيت الحياة العلمية برعاية واهتمام خاتونات عهد الدولة الأيوبية، الى جانب اهتمامهن بالعلوم الشرعية المختلفة ووصول بعضهم إلى مراتب عالية في الكثير من العلوم ولاسيما العلوم الشرعية واللغة العربية وعلومها (الذهبي، 1993م، ج53، ص 341)، وتتلمذ على ايديهن الكثير من طلبة العلم ومنحن الإجازات في بعض العلوم مثل: مؤنسة خاتون (603- 693هـ / 1206- 1294م)، بنت الملك العادل بن أيوب التي سمعت الحديث النبوي الشريف ووصلت الى مرتبة الاسناد وسمع عنها وروى الكثير من المحدثين (الذهبي، 1993م، ج1، ص73)، ونظرًا لحب الخاتونات للعلم والعلماء فقد سعين إلى دعم الحياة العلمية بالكثير من المؤسسات التعليمية مثل: دور الحديث النبوي الشريف كدار الحديث المسمى بـ(دار اقبال) اوقفته مؤنسة خاتون (603-693هـ / 1206-1294م)، بنت الملك العادل بن ايوب وألحقت به مركزًا لنسخ الكتب، وكذلك ربيعة خاتون (ت 635هـ / 1228م) التي اوقفت دارًا للحديث النبوي الشريف بدمشق لدارسي الحديث وعلومه وألحقت به مركزًا لتأليف الكتب ونسخها وترجمتها (النعيمي، 1990م، ج2، ص67)، اما العالمة أمة اللطيفة خاتون بنت الناصح الحنبلي (ت653هـ / 1255م)، زوج الملك الاشرف صاحب حمص فقد اوقفت دارًا للحديث النبوي الشريف بدمشق

وقد نقشت على أحد ابواب الدار اسمها واسم والدها. (ابن بدران، 1985م، ص237) واوقفت بنات الملك الكامل الثلاث دارًا لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه بجانب التربة الكاملية بدمشق، (ابن بدران، 1985م، ص348).

وكان للخاتونات دور بارز في اثراء الحركة العلمية والعمرانية والمؤسسة الوقفية بعدد كبير من المدارس التي خصصت لتدريس العلوم المختلفة لسائر العلوم الاسلامية، بل اوقفت بعضها لتدريس المذاهب الفقهية حصرًا، ولم يقتصر وقف هذه المدارس على المدن الكبرى فقط بل شملت النواحي والقرى التابعة لهذه المدن (كرد، 1925م، ج6، ص106–107)، وتشير المصادر إلى ضخامة الاموال التي اوقفت لتمويل هذه المدارس والعاملين فيها والقائمين عليها مما جعل بعضها اشبه بالجامعات مثل: المدرسة الخاتونية بدمشق التي اوقفتها ست الشام خاتون اخت صلاح الدين الايوبي (ت 616هـ/ 1218م)، التي عدت تحفة معمارية بفضل هندستها وموقعها الجميل، إذ كان يمر بصحن المدرسة نهر بانياس ونهر القنوات على بابها، وتطل شبابيكها على الرحبة وتحيط بها الخضرة من كل الجهات، فضلًا عن مكانتها العلمية، وما حوته من اماكن لسكن الطلبة والعلماء (ابن كثير، 2008م، ج13، ص58).

والحديث عن المدارس التي اوقفتها الخاتونات في هذا العهد يطول ولا يسع نطاق الدراسة ذكرها جميعًا، لذا سيتم ذكر اهم المدارس الكبرى، ففي مصر على سبيل المثال لا الحصر انشأت مؤنسة خاتون بنت الملك العادل بن ايوب (603– 693هـ/ 1206–1294م)، مدرستين في حارة زويلة في القاهرة ، الاولى: هي المدرسة القطبية برحبة كوكاي، وسميت بهذا الاسم؛ نسبة الى اخيها الملك الاوحد قطب الدين أحمد، وخصصت لتدريس المذهبين الشافعي والحنفي، اما المدرسة الثانية التي بنتها بحارة زويلة سنة (641هـ / 1208م) فقد اوقفت للشافعية حصرًا (المقريزي، 1998م، ج4، ص254)، واوقفت عاشور خاتون زوج الامير باذوكوج المدرسة العاشورية بحارة زويلة بالقاهرة ايضًا وجعلتها للفقهاء الحنفية ولم تحدد المصادر التاريخية سنة انشائها وتفاصيل سيرة واقفها، إلا أن ابن عبد الظاهر اكد أن هذه المدرسة بنيت في عهد الدولة الأيوبية (بن عبد الظاهر، 1996م، ص27) و بنت زوج الحافظ أبي طاهر السلفي (ت 576هـ / 1180م)، مدرسة بالإسكندرية وجعلتها وقفًا للفقهاء الشافعية، وجاء هذا الوقف تكريمًا لزوجها، وهذه المدرسة كانت الوحيدة التي يدرس فيها الفقه الشافعي بالإسكندرية (ابن كثير، 2008م، ج12، ص308) .

اما في دمشق فقد حظيت هذه المدينة بعدد كبير من المدارس التي انشئت من قبل الخاتونات، التي اسهمت في اثراء الحركة العلمية بدمشق خلال هذا العهد، فعلى سبيل المثال

لا الحصر: المدرسة الخاتونية اوقفتها عصمة الدين زمرد خاتون زوج صلاح الدين الايوبي (ت 581هـ/1185م)، جعلتها وقفًا للفقهاء الحنفية، وكان بناؤها سنة (573هـ / 1117م)، وأوقفت عليها اوقافًا عظيمة من قرى وبساتين لتمويل المدرسة والمدرسين وطلبة العلم (ابن بدران، 1985م، ص 169–170)، وانشأت عذراء خاتون بنت شاهنشاه بن أيوب (ت 593هـ / 1193م) المدرسة العذراوية سنة (578هـ / 1183م) وجعلتها وقفًا للحنفية والشافعية (ابن شداد، د.ت، ص213) ، ويعود لهذه المدرسة الفضل في تخرج الكثير من الفقهاء في كلا المذهبين (الذهبي، 1993م، ص453)، ويذكر عن والدتها خطلخير خاتون زوج شاهنشاه بن ايوب أنها قد أوقفت سنة (580هـ / 1184م) المدرسة الفرخشاهية وجعلتها وقفًا للفقهاء الحنفية، وجاء تسمية هذه المدرسة؛ نسبة الى ولدها فرخشاه بن شاهنشاه (ابن بدران، 1985م، ص190).

ومن المدارس الكبرى بدمشق المدرسة الشامية البرانية التي اوقفتها ست الشام اخت صلاح الدين الايوبي (ت 616هـ/1219م) للفقهاء الشافعية، وكانت هذه المدرسة من أكبر مدارس دمشق واعظمها عمرانًا وأوقافًا، إذ تقدر وقفيات هذه المدرسة بما يقرب من ثلاثمئة فدانٍ (وهو ما يساوي مليونًا ومئتين وستين ألف متر مربع) موزعة على عدة قرى ومزارع، وكانت قد اشترطت على مدرسي المدرسة أن لا يدرسوا بغيرها من المدارس (النعيمي، 1990م، ج1، ص 208–209)، هذا إلى جانب المدرسة الشامية الجوانية التي جعلتها وقفًا ذريًا لأبنها حسام الدين محمد بن عمر واولاده من بعده (النعيمي، 1990م، ج1، ص227)، اما اختها ربيعة خاتون (ت 643هـ / 1245م) فقد بنت المدرسة الصاحبية بسفح جبل قاسيون بدمشق وجعلتها وقفًا لفقهاء المذهب الحنبلي (النعيمي، 1990م، ج2، ص62)، ومن المدارس التي اوقفت للمذهب الحنفي بدمشق المدرسة الماردنية انشأتها عزيزة الدين اخشا خاتون زوج الملك المعظم عيسى (ت ق8هـ – ق13م)، واكتمل بناؤها سنة (ت 610هـ /1213م)، وجعلتها وقفًا سنة (624هـ/ 1227م)، (ابن بدران، 1985م، ص205)، اما خديجة خاتون بنت الملك المعظم عيسى (ت660 هـ/1262م) فأوقفت المدرسة المرشدية على نهر يزيد بدمشق على المذهب الحنفي وكانت قد خصصت لها اوقافًا عظيمة لتمويل رواتب المدرسين وطلبة العلم فيها، (ابن بدران، 1985م، ص200)، وأسهمت عائشة خاتون زوج شجاع محمود بن الدماغ العادلي – احد الشخصيات المقربة من الملك العادل ابي بكر بن أيوب– بعدد من الأوقاف الخيرية منها: المدارس الدماغية بدمشق وكان بناؤها سنة (638هـ/ 1240م) وكانت دارًا لزوجها وخصصت لتدرس المذهب الشافعي (أبو شامة، 2010م، ص8)، واوقفت فاطمة خاتون بنت الأمير كوكجا المدرسة القصاعية بحارة القصابين سنة (593هـ/1196م)، وجعلتها لتدريس المذهب الحنفي، واشترطت على مدرسيها أن يكونوا علماء بالاصلين (ابن بدران، 1985م، ص212).

Vol 12, Issue 40, May 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

وكان للمدن الشامية الأخرى نصيب من المدارس الموقوفة بها من قبل الخاتونات مثل: مدرسة الفردوس التي بنتها ضيفة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب وزوج الملك الظاهر غازي (ت 640هـ / 1242م) بحلب إذ وقفت عليها اوقافًا عظيمة، والحقيقة لها تربة ورباط ومسجد (كرد، 1925م، ج6، ص106)، وفي حماة انشأت مؤانسة خاتون بنت الملك المظفر محمد بن الملك المنصور بن ايوب المدرسة الخاتونية وخصصت لها اوقافًا كثيرة (ابن الوردي، 1996م، ج2، ص245).

المبحث الثاني: أثر اوقاف الخاتونات في الحياة العامة

شكلت الاوقاف الخيرية لخاتونات هذا العهد جزءًا حيويًا من المؤسسة الوقفية بشكل عام، وأدت دورًا محوريًا في جوانب الحياة المختلفة من الناحية الدينية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية.

ففي المجال الديني كان لتلك الأوقاف اثر بالغ في النشاط والتوجه الديني للمجتمع، إذ أسهمت هذه الأوقاف في اتساع مراكز التعليم الديني سواء في المساجد او المدارس او دور الحديث والربط والخوانق، وغيرها، الأمر الذي اسهم في نشر تلك العلوم الشرعية بين جميع فئات المجتمع، ولاسيما أن التعليم في هذه المراكز كان مجانًا ومدعومًا من قبل الخاتونات، الامر الذي دعا كثير من افراد المجتمع الى التوجه للاستفادة من فرصة التعليم في هذه المراكز العلمية، وتشير كثير من الدراسات إلى أن بفضل هذه المنشآت التعليمية الخيرية، اصبح الطابع الديني الاسلامي هو الطابع الغالب على المجتمع في هذا العهد.

ومن جانب اخر نجد أن اتساع حركة التصوف والزهد خلال عهد الدولة الأيوبية كان بشكل ملحوظ، ولعدة عوامل منها: الظروف التي خلفتها الغزوات والاحتلال الصليبي على الاراضي الإسلامية الأمر الذي تطلب زيادة عدد الربط والخوانق التي يأويها المتصوفة والزهاد مما دعا الخاتونات إلى الاسهام في بناء ووقف العديد من تلك المنشآت، وحرصت الخاتونات على توفير كل متطلبات العيش في هذه الاماكن مع حرصهن على جعلها مراكز للتعليم الديني الامر الذي اسهم في تعميق الفكر الديني لدى رواد هذه الاماكن (ابن بدران، 1985م، ص127). وكما تشير بعض الدراسات إلى أنها اسهمت في تعزيز الفكر الجهادي لدى شباب المجتمع الأمر الذي أسهم في انتصاراتهم في حروبهم مع الصليبيين (اليساري، 2023م، ص147).

وفي هذا البحث تبين أن هذه الربط والخوانق قد تطور مضمونها بفعل الخدمات التي اضافتها الخاتونات الى هذه المنشآت، إذ لم يقتصر هدفها على ايواء المتصوفة والزهاد بل اصبحت مساكن لطلبة العلم و العلماء وقد اكد ذلك القفطي بإشارته إلى هذه الأماكن التي لم تقتصر على العباد والمنقطعين للعبادة فقط بل سكنها المدرسون ايضًا (القفطي، د.ت، 2، ص170)، وتبين ايضًا أن الربط والخوانق التي خصصتها الخاتونات للنساء المطلقات والارامل والمنقطع بهن السبيل واللاتي جعلن من شروط اقامة هذه الفئة من النساء في هذه المنشآت هو اداء الفروض الشرعية والتمسك بالدين، وأسهم هذا الامر في التربية الدينية لهذه الفئة من النساء الى جانب الهدف الانساني (العنزي، 2021م، ص 154-155).

ولم يقتصر دور الخاتونات في تشييد ووقف المراكز الدينية العلمية بل اسهمن في رعاية المناسبات والاحتفالات الدينية وتخصيص جزء من اموالهن لدعم مثل تلك النشاطات، ولاسيما احتفالات المولد النبوي الشريف الذي اختص المجتمع المصري به بشكل كبير، واحتفالات عيد الفطر وعيد الأضحى وغيرها من المناسبات الامر الذي عزز الشعور الديني بهذه الشعائر الدينية والروحية ، وكان نشاط الخاتونات يبرز بشكل كبير في هذا الجانب خلال شهر رمضان، إذ كن يخصص اوقافًا عظيمة لتوفير الطعام لليتامى والفقراء، وكن يسهمن في تنظيم موائد الافطار الجماعية، الامر الذي اسهم في تقوية الاواصر الاجتماعية بين ابناء المجتمع، مثل: صفية خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ابوب (640هـ/ 1242م) التي كانت تشرف بنفسها على تنظيم هذه الموائد في رمضان (الذهبي، 1993م، ج46، ص437)، وربيعة خاتون بنت الملك ناصر الدين التي اوقفت جزءًا من املاكها لعدد من المساجد لإقامة المناسبات الدينية فضلًا عن تخصيصها وقفًا لتنظيم الاحتفالات السنوية بالمولد النبوي الشريف (ابن العديم، 1996م، ج3، ص267).

اما على صعيد الخدمات الاجتماعية فقد تنوعت الخدمات التي قدمتها الخاتونات للمجتمع، ففي المجال الصحي -وكما أشرنا سابقًا- أن الخدمات التي قدمتها الخاتونات في هذا المجال أسهمت في تحسين مستوى الخدمات الصحية المقدمة للمجتمع، وتوفير العلاج للفقراء والمحتاجين ودعم البيمارستانات (ابن كثير، 2008م، ج3، ص 100-101).

فيما أسست المساجد والربط و المدارس والخانات وغيرها من المنشآت العمرانية في تنظيم الحياة العامة، وتطوير الجانب العمراني للمدن (حجازي، (د.ت)، ص68-69).

ومن الامور المهمة التي حققتها بتلك الاوقاف أنها عززت قيم الاحسان والرحمة بين ابناء المجتمع، واسهمت في اشاعة ثقافة الوقف حتى اصبحت من اساسيات تقاليد المجتمع

الايوبي واستمرت هذه الثقافة حتى بعد زوال دولتهم، ولاسيما أن خاتونات العهد الايوبي وتحديدًا أميرات وملكات البيت الايوبي كن حريصات على تشجيع نساء المجتمع على الحذو بحذوهن في خدمة المؤسسة الوقفية (أبو شامة، 2010م، ص59).

وعلى الصعيد العلمي والثقافي، فقد أدت المدارس والمراكز العلمية التي اوقفتها الخاتونات دورًا محوريًا في الحركة العلمية والفكرية في هذا العهد، ولاسيما أن هذه الأوقاف لم تقتصر على المدن الكبرى بل شملت المدن الصغيرة والنواحي الامر الذي اسهم في توفير فرص التعليم لغالب ابناء المجتمع، فضلا عن أن التعليم في هذه المراكز لم يقتصر على الرجال فقط بل خصصت بعضها لتعلم النساء الامر الذي رفع من مكانة المرأة العلمية (الديوه جي، 1950م، ص 37).

وفي هذا البحث نجد أن مراكز التعليم التي اوقفتها الخاتونات وتعزيزها بالخدمات التي يحتاجها النشاط العلمي، اوجد فيها العلماء وطلبة العلم بيئة داعمة لنتاجهم العلمي، مثل: خديجة خاتون بنت الملك العظيم عيسى التي انشأت مركزًا لتصنيع الادوية والعقاقير لسد حاجة المارستان في دمشق بعد أن كانت تجلب من الهند والصين، الامر الذي أسهم في تطوير صناعة الادوية محليًا وتوفير بيئة انتاجية للعلماء المختصين بالأدوية والعقاقير، (الزبيدي، (د.ت)، ج1، ص89).

واسهمت الاوقات الخيرية للخاتونات في المجال العلمي في تعزيز مبدأ التعليم المجاني، إذ كان التعليم في هذه المراكز متاحًا لجميع افراد المجتمع ، وكانت الخاتونات يشجعن على التعليم وذلك بصرف رواتب للطلبة وتوفير سكن لهم في مراكز التعليم، ولاسيما الطلبة الغرباء (ابن بدران، 1985م، ص 172)، الامر الذي جعل هذه المراكز عامل جذب لكثير من طلبة العلم ومن مختلف البلدان، وقد ذكر ذلك ابن جبير في اثناء رحلته الى دمشق في القرن (السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد) إذ دعا الطلبة المغاربة الى الإفادة من المنح الدراسية التي كانت قدمها مدارس دمشق ومصر للطلبة الوافدين، فضلًا عما كانت تقدمه هذه المدارس من لوازم الدراسة واحتياجات الطلبة من مواد الكتابة والورق والسكن والمنح المالية (ابن جبير، (د.ت)، ص103) فيما اشار ابن جماعة الى المدرسة الصاحبية التي اوقفتها بدمشق ربيعة خاتون اخت صلاح الدين الايوبي (ت643هـ / 1245م) إذ قال: "إنها كانت من اجل مدارس الدنيا واعظم المدارس بمصر، يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها، ويتشاحنون للسكنى في بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم (ابن جماعة، 1980م، ص193)، وكانت مواضع سكنى الطلبة الملحقة بالمدرسة العادلية التي اوقفتها زهرة خاتون ابنة

الملك العادل بن أيوب(ت ق 7هـ / ق 13م)، مزدحمة بطلبة العلم (النعيمي، 1990م، ج1، ص368).

وبالنظر في الاغراض التي انشئت لأجلها المدارس الموقوفة من قبل الخاتونات، نجد أن غالبها أنشئت لتدريس المذاهب الفقهية تحديدًا بحسب المذهب الفقهي التي تتبعه الخاتون، فهناك بعض المدارس أوقفت لتدريس مذهب فقهي معين ومنعت مدرسي المدرسة من التدريس في مدارس اخرى (النعيمي، 1990م، ج1، ص454-455)، وهناك مدارس اوقفت لفقهاء اكثر من مذهب (الذهبي، 1993م، ج2، ص453) الامر الذي يشير الى شيوع مبدأ التسامح المذهبي بين افراد المجتمع على الرغم من أن المذهب الشافعي كان المذهب الرسمي للدولة في غالب حقبة حكم الاسرة الأيوبية، (علي، (د.ت)، ص55-56)، فضلًا عن ذلك اسهمت هذه المدارس في انتشار هذه المذاهب وترسيخها بين فئات المجتمع والامر يسري على باقي العلوم (الذهبي، 1993م، ج2، ص453).

اما الأثر الذي تركته هذه الاوقاف على الجانب الاقتصادي، فقد كملت في تحقيق نهضة انمائية اقتصادية على الصعيد الاجتماعي، فمثلًا: الرواتب التي كانت تصرف للعلماء وطلبة العلم والمشرقين على الاوقاف حققت مستوى معاشي جيد لهذه الفئات، فضلًا عن أنها روجت لسوق العمل للعديد من الوظائف، فإلى جانب تعيين العلماء في المدارس ودور الحديث والمراكز العلمية الاخرى نجد أن وقفيات الخاتونات وفرت فرص عمل لوظائف إدارية ودينية من مشرفي الاوقاف، والقراء والمؤذنين والائمة في المساجد، ووظيفة شيخ الشيوخ في ربط الخوانق وغيرها من موظفي الاوقاف الدينية وموظفي المنشآت الخدمية، مثال ذلك: أن زهرة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن أيوب (ت ق7هـ/13م) جعلت في المدرسة العادلية الصغرى عشرين فقيهًا وعشرين مدرسًا ومعيدًا واماما ومؤذنًا وبوابًا، (ابن بدران، 1985م، ص27).

وتبرز المنشآت الوقفية التي أوقفتها الخاتونات حجم الأموال التي رصدت لتمويلها، الامر الذي تطلب تشكيل مؤسسة اقتصادية تدير تلك الأموال وتنظيم ايراداتها ونفقاتها وتعمل على ديمومتها، هذه المؤسسات الاقتصاد الوقفية حققت الجانب التنموي للأموال سواء كانت هذه الاموال عقارات او أراضٍ زراعية او صناعات أو تجارات، مثل: المدرسة المرشدية التي اوقفتها خديجة خاتون بنت الملك المعظم عيسى (ت660 هـ/1262م). اوقفت لتمويلها عدة قرى في ضواحي دمشق، وخان وطاحونة ودارًا لها وإملاك اخرى كثيرة (النعيمي، 1990م، ج1، ص576)، وبذلك تكون هذه الأوقاف قد اسهمت في تحريك الاقتصاد، وتحقيق الخدمات واستدامة التنمية ولاسيما في المدن والقرى التي اوقفت فيها تلك الأملاك لتمويل المؤسسات

Vol 12, Issue 40, May 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

الوقفية، فضلًا عن أنها اسهمت في تحريك سوق العمل والانتاج في القرى التي كانت تضم الاملاك الموقوفة، الأمر الذي أسهم في تحويلها من أرض بور الى أراضٍ منتجة، مما يساعد في تحقيق نوع من التوازن بين الريف والمدن (أبو زهرة، 1971م، ص 111)، ومن جانب اخر نجد أن هذه الاوقات قد خففت عن كاهل الدولة في تحملها اعباء توفير مثل هذه الخدمات، واسهمت في تحمل نفقاتها عوضًا على الدولة. فضلًا عن مساهمتها في تطوير المؤسسات الخدمية في المدن الاسلامية (ابن واصل، (د.ت)، ج3، ص182).

ومن المعطيات الحضارية لهذه الاوقاف أنها دعمت الجوانب المعمارية والفنية للمدينة الإسلامية، وأظهرت تيارات فنية جديدة، إذ حرصت الخاتونات على الانفراد بهندسة معمارية تنماز بها المؤسسة الوقفية العائدة لها عن غيرها من الاوقاف، لذا فقد انمازت غالب المؤسسات التي شيدتها الخاتونات بتصاميم عمرانية فريدة عكست الثقافة الإسلامية بأسلوب جديد، مثل: مدرسة الفردوس بحلب التي بنتها ضيفة خاتون بنت الملك العادل بين أيوب (ت 633هـ/ 1236م)، التي حرصت على اضافة عناصر جديدة للفن المعماري لم تكن مألوفة في طراز هذا العهد، مثل: اضافة الأقواس المدببة المستندة على التيجان التي زينت لها ايوان وصحن واروقة المدرسة (الريحاوي، 200م، ج2 ، ص377)، ويوجد في المدرسة محراب مصنوع من الرخام الملون المتشابك على اشكال هندسية بديعة الصنع، ويعد هذا المحراب من اندر المحاريب في العالم الإسلامي من حيث البناء والزخارف (الريحاوي، (د.ت)، ص139)، وانفردت مؤنسة خاتون بنت الملك العادل بن ايوب بفكر معماري اعتمدت في نقوش المدرسة القبطية التي اوقفتها بمصر بالنقش على الزجاج، وتضمنتها آيات قرآنية نافعة للرقية الشرعية للدغ الحية والعقرب وبعض الأمراض، إذ كان الهدف في هذه النقوش لمنفعة الناس منها ونجد أن هذا النوع من الفنون المعمارية الفريدة من نوعها لم يقتصر هدفها على ابراز السمة الجمالية للبناء المعماري، بل هدفت مؤنسة خاتون الى ربط الفن بالبيئة الاجتماعية بجعل الفن وسيلة للتنمية والتوعية الاجتماعية.

وفي نهاية الامر نجد أن الخاتونات قد حققن عدة اغراض بالاوقاف الخيرية عادت بالنفع على كل مفاصل الحياة العامة.

الخاتمة:

تم التوصل في هذه الدراسة والبحث إلى عدد من النتائج أهمها:

1- تنوع الاوقاف الخيرية التي اسهمت خاتونات عهد الدولة الأيوبية بإنشائها، إذ تناولت هذه الاوقاف مجالات الحياة المختلفة، وارتبط هذا التنوع بتقدم مفاصل الحياة العامة في هذا العهد، لذا يمكن القول إن هذه الاوقاف اتسمت بالشمولية والتعددية.

2- عكست الاوقاف الخيرية لخاتونات حجم الثروات التي كانت تتمتع بها الخاتونات، والاستقلال المادي والاقتصادي للخاتونات.

3- اسهمت تلك الاوقاف في دعم الحركة الانمائية للدولة في المجالات المختلفة، ووفرت جملة من الخدمات الاجتماعية، الأمر الذي خفف عن كاهل الدولة من حيث النفقات.

4- شكلت تلك الاوقاف مؤسسات اقتصادية مستقلة، إذ كان لكل وقف دائرة تنظمه وتديره من قبل عدد من الموظفين والمشرفين عليه فضلًا عن موارده المالية المخصصة لتمويل الوقف.

5- عبرت تلك الاوقاف عن السمة التي كانت سائدة في المجتمع في هذا العهد وهو توجه الناس الى اعمال الخير والصدقات وتسابقهم في ذلك.

6- عززت تلك الأوقاف المكانة السياسية والاجتماعية للخاتونات.

7- اسهمت تلك الأوقاف في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين فئات المجتمع في هذا العهد.

8- شكلت تلك الاوقاف أنموذجًا للحلول المستدامة في جانب الخدمات الاجتماعية.

9- عززت تلك الاوقاف –ولاسيما الاوقات الدينية والعلمية– الموروث الديني للمجتمع والحفاظ على الشريعة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

References:

1. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد. (1409 هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب (تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط). دار ابن كثير.
2. ابن العميد، كمال الدين عمر بن أحمد .(1996). زبدة الحلب في تاريخ حلب (تحقيق خليل المنصور، ط. 1). دار الكتب العلمية.
3. ابن الوردي، عمر أبو مظفر .(1996) .تاريخ ابن الوردي (ط. 1). دار الكتب العلمية.
4. ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم .(1985) .منادمة الأطلال ومسامرة الخيال.
5. ابن جبير، محمد بن أحمد. (لا ت) .رحلة ابن جبير (ط. 1). دار بيروت للطباعة.
6. ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم .(1968) .تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (ط. 2). دار الكتب العلمية.
7. ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله بن علي. (لا ت) .الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ط. 1). دار التعلم.
8. ابن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد الله .(1996) .الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة (تحقيق أيمن فؤاد سيد، ط. 1). دار العربية للكتاب.
9. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل .(2008) .البداية والنهاية (تحقيق عادل أحمد عوض وآخرون). مركز الشرق الأوسط.
10. ابن منظور، جمال الدين عبد الله بن مكرم .(1950) .لسان العرب .دار صادر.
11. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم. (د.ت) .مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (تحقيق جمال الدين الشيال). دار الفكر العربي.
12. أبو زهرة، محمد .(1971) .محاضرات في الوقف (ط. 2). دار الفكر العربية.
13. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي .(2010) .الذيل على الروضتين النورية والصلاحية (تحقيق إبراهيم الزيبق). دار الرسالة العالمية.
14. الأربلي، الحسن بن أحمد .(1940) .مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها (تحقيق محمد أحمد دهان). مطبعة الترقي.
15. الأصفهاني، عماد الدين محمد بن حفص .(2004) .الفتح القسي في فتح القدسي (ط. 1). المنار.
16. حجازي، المرسي السيد. (لا ت). دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي .مجلة جامعة الملك عبد العزيز، 19.(2)
17. حشيش، رياض صالح علي .(2005) .الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحرب الصليبية (429 – 690 هـ / 1098 – 1291م) .رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، لبنان، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار.
18. الخصاف، أبو بكر عمر بن أحمد الشيباني .(1914) .أحكام الأوقاف .مطبعة ديوان عموم الأوقاف.

19. الذهبي، شمس الدين أحمد بن محمد بن قيماز .(1993). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان (تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط. 2). دار الكتاب العربي.
20. الريحاوي، عبد القادر .(2000). قمم عالمية في تراث الحضارة الإسلامية المعماري والفني .وزارة الثقافة.
21. الريحاوي، عبد القادر. (د.ت) .العمارة العربية الإسلامية: خصائصها وآثارها في سورية .دار البشائر للطباعة والنشر.
22. الزبيدي، المرتضى. (د.ت) .ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب (تحقيق صلاح الدين المنجد). دار الكتاب الجديد.
23. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف .(1952). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (ط. 1). دائرة المعارف العثمانية.
24. علي، وفاء محمد. (1407 هـ) .قيام الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام (ط. 1). دار الفكر العربي.
25. العنزي، مساعد. (2021). توظيف المتصوفة في عهد صلاح الدين لإرساء قواعد الحكم الأيوبي بمصر (567–589 هـ / 1171–1193م) .المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 19(54).
26. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. (لا ت) .تاريخ الحكماء (من كتاب أخبار العلماء) . نشره يوليوس ألبرت، مطبعة المثنى.
27. القلقشندي، أحمد بن عبد الله. (لا ت) .صبح الأعشى في صناعة الإنشا .دار الكتب العلمية.
28. الكتاني، محمد عبد الحي. (لا ت) .نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية .دار الكتاب العربي.
29. كرد، محمد علي .(1925). خطط الشام .مطبعة الترقي.
30. المقريزي، تقي الدين أبي العباس. (1418 هـ) .الخطط المعروف بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ط. 1). دار الكتب العلمية.
31. مهدي، عبد الحسين عبد الرحيم .(1987). الخدمات العامة في بغداد .دار الحرية.
32. النعيمي، عبد القادر بن محمد .(1990). الدراس في تاريخ المدارس (حاشية إبراهيم شمس الدين، ط. 1). دار الكتب العلمية.
33. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .(2004). نهاية الأرب في فنون الأدب (تحقيق مفيد قمحية وآخرون، ط. 1). دار الكتب العلمية.
34. اليساري، حيدر خضير مراد. (2023). دور المتصوفة في حركة الجهاد ضد الممالك الصليبية الإسبانية ببلاد الأندلس .مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، 3(7)، فلسطين، غزة.

Vol 12, Issue 40, May 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

1. Abu Shama, Shihab Al-Din Abdul Rahman Al-Maqdisi. (2010). The supplement to Al-Rawdatayn Al-Nuriyya and Al-Salahiyya (Edited by Ibrahim Al-Zaybaq). Dar Al-Risala Al-Alamiya.
2. Abu Zahra, Muhammad. (1971). Lectures on endowments (2nd ed.). Dar Al-Fikr Al-Arabi.
3. Al-Arbili, Al-Hasan bin Ahmed. (1940). The schools, lodges, mosques, and baths of Damascus (Edited by Muhammad Ahmad Dahan). Al-Taraqi Press.
4. Al-Dhahabi, Shams Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Qaymaz. (1993). The history of Islam and the deaths of famous and notable people (Edited by Omar Abdul Salam Al-Tadmari, 2nd ed.). Dar Al-Kitab Al-Arabi.
5. Al-Enezi, Musaed. (2021). The employment of Sufis during Salah Al-Din's era to establish the foundations of Ayyubid rule in Egypt (567-589 AH / 1171-1193 AD). The Arab Journal of Humanities, Kuwait University, 19(54).
6. Ali, Wafaa Muhammad. (1407 AH). The rise of the Ayyubid state in Egypt and the Levant (1st ed.). Dar Al-Fikr Al-Arabi.
7. Al-Isfahani, Ammar Al-Din Muhammad bin Hafs. (2004). Al-Fath Al-Qussi fi Fath Al-Qudsi (1st ed.). Al-Manar.
8. Al-Kettani, Muhammad Abdul Hayy. (n.d.). The system of prophetic government, called Al-Taratib Al-Idariyya. Dar Al-Kitab Al-Arabi.
9. Al-Khassaf, Abu Bakr Umar bin Ahmed Al-Shaybani. (1914). The rulings of endowments. The Printing House of the General Endowments Administration.
10. Al-Maqrizi, Taqi Al-Din Abi Al-Abbas. (1418 AH). The plans known as admonitions and considerations in mentioning plans and antiquities (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
11. Al-Nuaimi, Abdul Qadir bin Muhammad. (1990). Al-Durras fi Tarikh Al-Madaris (With a marginal note by Ibrahim Shams Al-Din, 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
12. Al-Nuwayri, Shihab Al-Din Ahmed bin Abdul Wahab. (2004). Nihayat Al-Arab fi Funun Al-Adab (Edited by Mufid Qamhiyya & others, 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
13. Al-Qalqashandi, Ahmed bin Abdullah. (n.d.). Subh Al-A'sha fi Sina'at Al-Insha. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
14. Al-Qifti, Jamal Al-Din Abu Al-Hasan Ali bin Yusuf. (n.d.). The history of sages (from the book of scholars' news). Published by Julius Albert, Al-Muthanna Press.
15. Al-Rihawi, Abdul Qadir. (2000). Global summits in the architectural and artistic heritage of Islamic civilization. Ministry of Culture.
16. Al-Rihawi, Abdul Qadir. (n.d.). Arab-Islamic architecture: Its characteristics and impacts in Syria. Dar Al-Bashaer for Printing and Publishing.
17. Al-Yasari, Haider Khudair Murad. (2023). The role of Sufis in the jihad movement against the Spanish Crusader kingdoms in Andalusia. Ibn Khaldun Journal for Studies and Research, 3(7), Palestine, Gaza.
18. Al-Zubaidi, Al-Murtada. (n.d.). Tawrij Al-Qulub fi Dhikr Al-Muluk Bani Ayyub (Edited by Salah Al-Din Al-Munjid). Dar Al-Kitab Al-Jadeed.
19. Hashish, Riyad Saleh Ali. (2005). The Sufi movement in the Levant during the Crusades (429–690 AH / 1098–1291 AD). Master's thesis, Islamic University, Lebanon, Faculty of Arts, Department of History and Archaeology.

20. ijazi, Al-Mursi Al-Sayyid. (n.d.). The role of endowments in achieving social solidarity. Journal of King Abdulaziz University, 19(2).
21. Ibn Abd Al-Zahir, Abu Al-Fadl Abdullah. (1996). The splendid and radiant garden in the plans of Al-Mu'izziya Cairo (Edited by Ayman Fuad Sayyid, 1st ed.). Dar Al-Arabiya for Books.
22. Ibn Al-Amid, Kamal Al-Din Umar bin Ahmed. (1996). Zubdat Al-Halab fi Tarikh Halab (Edited by Khalil Al-Mansour, 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
23. Ibn Al-Imad Al-Hanbali, Abdul Hayy bin Ahmed. (1409 AH). Shadharat Al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab (Edited by Abdul Qadir Al-Arna'out and Mahmoud Al-Arna'out). Dar Ibn Kathir.
24. Ibn Al-Wardi, Umar Abu Muzaffar. (1996). The history of Ibn Al-Wardi (1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
25. Ibn Badran, Abdul Qadir bin Ahmed bin Mustafa bin Abdul Rahim. (1985). Munadamat Al-Atlal wa Musamrat Al-Khayal.
26. Ibn Jama'ah, Badr Al-Din Muhammad bin Ibrahim. (1968). The memorandum of the listener and the speaker on the etiquette of the scholar and the student (2nd ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
27. Ibn Jubayr, Muhammad bin Ahmed. (n.d.). The journey of Ibn Jubayr (1st ed.). Dar Beirut for Printing.
28. Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail. (2008). The beginning and the end (Edited by Adel Ahmed Awad & others). Middle East Center.
29. Ibn Manzur, Jamal Al-Din Abdullah bin Makram. (1950). Lisan Al-Arab. Dar Sader.
30. Ibn Shaddad, Izz Al-Din Abu Abdullah bin Ali. (n.d.). The precious relations in mentioning the rulers of the Levant and the island (1st ed.). Dar Al-Taalim.
31. Ibn Wasil, Jamal Al-Din Muhammad bin Salim. (n.d.). Mufarrij Al-Kurub fi Akhbar Bani Ayyub (Edited by Jamal Al-Din Al-Shayyal). Dar Al-Fikr Al-Arabi.
32. Kurd, Muhammad Ali. (1925). Plans of Damascus. Al-Taraqi Press.
33. Mahdi, Abdul Hussein Abdul Rahim. (1987). Public services in Baghdad. Dar Al-Hurriya.
34. Sibt Ibn Al-Jawzi, Shams Al-Din Abu Al-Muzaffar Yusuf. (1952). The mirror of time in the history of notable figures (1st ed.). The Ottoman Encyclopedia.

Vol 12, Issue 40, May 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X